الفصل الثالث
مناهج الحياة العامة

مقـــدمة

(١)

إن الإسلام لابد له من حكومة تقيمه وترعاه وتحميه..

فالحكومة الإسلامية ضرورية من أجل حفظ العقيدة وحمايتها من عبث العابثين، ولهو اللاهين، وخروج المارقين، وزندقة الزنادقة، وشبه الكافرين وإقامة حكم الردة على المرتدين «من بدل دينه فاقتلوه» والقتل يحتاج إلى حكومة في الوضع الطبيعي.

والحكومة ضرورية من أجل إقامة العبادات، فالكسالى عن الصلاة يؤدبون، والممتنعون عن الزكاة يعزرون، وتاركو الصيام يعاقبون، والمقصرون عن الحج وهو باستطاعتهم يزجرون.

والحكومة الإسلامية ضرورية لحفظ الأرواح ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى..**﴾ [البقرة: ١٧٨] ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٩].

والحكومة ضرورية لحفظ الأعراض ﴿**سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا..**﴾ [النور: ١] ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...**﴾ [النور: ٢] ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً**﴾ [النور: ٤] والحكومة ضرورية لحفظ الأموال: ﴿**لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ...**﴾ [البقرة: ١٨٨].

والحكومة ضرورية لإقامة الجهاد: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً**﴾ [التوبة: ١٢٣].

والحكومة ضرورية لإقامة ما يلزم المسلمين من علوم، وتربية المسلمين على الإسلام، وإقامة كل أنظمة الإسلام السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، والأخلاقية، والثقافية.

والحكومة ضرورية من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، فإن الإسلام ما لم تكن له حكومة تحمله وتحميه يكون ذليلاً، والنفوس تحب الانطلاق والانفلات إلى كل

شهوة وهوى ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ [المؤمنون : ٧١] فلابد من حكومة تصرف الناس عن الهوى إلى الاستقامة، وقديماً قال الخليفة الراشد : (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

والمسلمون لا يطمئنون ما لم تكن لهم حكومة مسلمة :

فغير المسلم لا يؤتمن على حرية العقيدة، وغير المسلم لا يؤتمن على عمل ولا قانون، ولا حق ولا مصلحة، فالمسلم فى ظل حكومة غير إسلامية معرض إسلامه للخطر، ومضطر للطاعة حتى فى معصية الله، وفى ذلك تناقض كبير بين العقيدة الإسلامية والسلوك، عدا عن كون ذلك ذلة لا تليق بالمسلم ولا تجوز عليه، إذ جعل الله عز وجل المسلم هو الأعلى ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [المنافقون : ٨] ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** [آل عمران : ١٣٩] وعندما تكون الحكومة التى تحكم المسلم غير مسلمة فإن فى ذلك ذلة له .

هذا مع أن الحكومات فى زماننا أصبحت ترى أن لها الحق فى أن تتدخل فى كل صغيرة وكبيرة من شئون مواطنيها، فتفرض عليهم العقيدة التى تريد، وتربى أولادهم عليها، وتفرض السلوك الذى تريد وتجبرهم عليه، وفى هذا تعريض الإسلام للزوال إن لم يكن فى أول جيل ففى جيل ثان، والدارس لحال المسلمين فى الصين أو فى الاتحاد السوفييتى أو فى الحكومات المرتدة فى العالم الإسلامى يرى هذا الأمر واضحاً .

والحكومة الإسلامية لابد منها لتقدم البشرية فى طريقها الصحيح :

فالتقدم البشرى له مظهران : المظهر الأول : التقدم فى زيادة تسخير الكون لصالح الإنسان، والمظهر الثانى : تقدم الإنسان فى مجالات الأخلاق والسلوك والاستقرار والاطمئنان والعدل، ومعرفة الحقوق والقيام بها، ومعرفة الواجبات وقيامها، ويلاحظ أن البشرية بدون الإسلام قد تتقدم فى المظهر الأول، وتتأخر فى المظهر الثانى، فترى البشرية بلا إسلام ترجع فى تصرفاتها إلى عهود الهمجية الأولى، والفوضوية الأولى، والجاهلية الأولى، فلابد من الإسلام إذا أريد للبشرية أن تتقدم فى طريقها الصحيح . إذ الإسلام هو الصورة الوحيدة للتقدم البشرى فى كل الأعصار وفى كل مجال، وعندما ينفصل المظهر الأول للتقدم عن المظهر الثانى، يصبح المسلمون فى خطر يهددهم بالزوال والفناء، سواء قاموا هم بهذا الدور أو قام به غيرهم، كما هو واقع الآن، وليس هنالك من حل إلا بقيام دولة الإسلام التى تجمع كل أنواع التقدم وتضع حدا للمغالطات التى تقدمها الجاهلية كدليل على أنها حق بتقدمها فى عمارة الدنيا .

والحكومة الإسلامية ضرورية لتبليغ رسالة الإسلام العالية، وإخضاع البشر

لسلطان الله وشريعته، بلا إكراه على تغيير العقيدة، كى يتمتع الإنسان والحيوان برحمة الإسلام، ويتخلص الإنسان بذلك من ظلم الإنسان، إذ لا يحقق العدل الكامل إلا شريعة الله، وبدون شريعة الله يتحكم فرد من أمة فى أمة، أو تظلم طبقة طبقة بالتناوب، وفى كل صورة من صور الحكم تغيب فيها صورة الحكومة الإسلامية وحقيقتها يكون تعبيد الإنسان للإنسان حتى فى أكثر النظم ديمقراطية.

وأخيراً نقول: إنه بلا حكومة إسلامية تكون عرى الإسلام فى حالة نقض وفى الحديث: (تنقض عرى الإسلام عروة عروة، فأولها نقضا الحكم وآخرها الصلاة) وما نقضت بقية عرى الإسلام إلا بعد أن نقضت العروة الأولى، إذا ما دامت العروة الأولى مستمسكة فإن عرى الإسلام كلها قائمة.

وما دامت هذه كلها من الواجبات ولا تتم إلا بقيام الحكومة الإسلامية، فقد أصبح قيام حكومة الإسلام فرضاً، إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والعمل من أجلها فريضة عينية على كل مسلم إذ أن فرض الكفاية يبقى فرض عين حتى يقوم.

(٢)

والأساس الذى تقوم عليه الحكومة الإسلامية هو التزامهم بشريعة الله، وانبثاقها عن إرادة المسلمين، وتنفيذها لأحكام الله، وقضاؤها على نوازع الهوى المخالف لشريعة الله، وصلاح أفرادها فى أنفسهم.

إن الحكم الصالح لا يمكن أن يكون بلا رجال صالحين، وبدون وجود رجال من هذا النوع على رأس الحكم وأجهزته فلا إسلام، وكل جهاز من أجهزة الدولة لابد له من مناهج، فبدون كون هذه المناهج إسلامية فلا إسلام، وما لم تصبح هذه المناهج قائمة فى عالم الواقع فلا إسلام.

وما لم يصبح الدولة كلها شعباً وحكومة، وأجهزة بصبغة الإسلام فلا إسلام.

وما لم تلتزم الأمة فى تصوراتها كلها: سواء الثقافية أو الحضارية، أو المدنية بالإسلام فلا إسلام، وبدون هذا فإن حكومة الإسلام لا تكون قائمة.

وما لم تنبثق هذه الحكومة عن إرادة المسلمين فإنها تكون ظالمة، سالبة الحق من أهله.

والحكومة الإسلامية حكومة فريدة فى نوعها، لأن المعانى التى تقوم عليها فريدة. فللإسلام نظرته الخاصة فى موضوع الأمة والوطن، والرئاسة العليا للدولة، والتنظيم الحربى.

كما أن للإسلام سياسته الاقتصادية، والعسكرية، والتشريعية، والثقافية المنفردة.

كما أن الأجهزة التى تنشأ نتيجة لهذا كله تختلف سواء فى نوعية رجالها أو فى

غاياتها. وينتج عن هذا كله أن نظرية الإسلام فى القضايا العامة، نظرية فريدة، هذه النظرية بها وحدها صلاح الإنسان والناس.

وقد جربت الإنسانية كل ما خطر على بالها لإسعاد الناس وما زالت تجرب. ولم ينتج عن ذلك إلا الألم والقلق والفوضى والطغيان والظلم وسفك الدماء، واحتقار الكرامة الإنسانية، وإهدار القيم، وليس أمام الإنسانية خيار إلا فى سلوك طريق الله العالم بما يصلحها ويفسدها، ويسعدها ويشقيها.

إن البشرية ما لم يستلم قيادتها رجال صالحون عادلون، حكماء علماء أنقياء، يسيرون بها على معالم شريعة عادلة كاملة شاملة، نحو هدف راق سام عظيم، فإنها ستبقى تعيش فى فوضاها الرهيبة المؤلمة.

وسنحاول فى هذا الفصل أن نرسم صورة الحياة العامة التى يقيمها الإسلام ليعرف المسلم طريقه إلى قيادة البشرية وإنقاذها.

وسنكتب فى هذا الفصل بابين وخاتمة:

الباب الأول: أوليات الحياة الإسلامية العامة: الأمة - الخلافة - الوطن...

الباب الثانى: السياسات العامة:

١ - السياسة الاقتصادية.

٢ - السياسة التعليمية والإعلامية.

٣ - السياسة العسكرية.

٤ - السياسة الجزائية.

خاتمة: نلقى فيها نظرة سريعة على أجهزة الدولة الإسلامية.

إن هناك أمة هى الأمة الإسلامية لها وطن هو دار الإسلام والعدل، تنبثق عنها حكومة متمثلة بالخلافة، لها سياسة تشريعية واضحة، وسياسة اقتصادية عادلة، وسياسة عسكرية عالية، وسياسة تعليمية ناضجة، وسياسة إعلامية سامية، وعليها واجبات داخلية وخارجية صريحة، ولها أجهزتها التى تنسجم مع هذا كله، وهذا ما أردنا بيانه فى هذا الفصل.

* * *